مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين – ولا عدوان إلا على الظالمين – ونصلى ونسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــد ،،،

فمن المعلوم أن الإسلام قد قوبل بعدة تيارات مناوئة وعقائد مضادة كانت – ولا زالت– أهم المعوقات التي تتصدى له ، فمن يوم أن أشرقت شمس الإسلام على البشرية وأعداء الإسلام لا يكلون ولا يملون . ولقد تعرضت العقيدة الإسلامية لخطر تلك العقائد المناوئة، وكان لزامًا على علماء الإسلام أن يتصدوا لهذه العقائد ويقوموا بالرد عليها .

وبالفعل حقق علم العقيدة الإسلامية أهدافه عبر التاريخ من المحافظة على العقيدة أولا، ثم الاحتفاظ لها بدور قيادة الحضارة ثانيا، وهذا جهد كبير ودور عظيم، حمل لواءه علماء العقيدة قديما وحديثا، ومنوط بهم أن يحملوه الآن أكثر من أي وقت مضى ، ومن هنا فقد قام علم العقيدة بدور الريادة في هذا المجال .

وفي العصر الحاضر تتعرض عقائد المسلمين لخطر مثل ذلك الخطر إن لم يكن أشد منه عنفًا لأسباب :

1 – أن المسلمين كانوا يحتلون دور الريادة والقيادة بخلاف العصر الحاضر .

2 – استحداث تيارات فكرية لم تكن موجودة من قبل .

3 – انشغال أغلب المسلمين عن مهمة الدفاع عن الإسلام كما كان أسلافهم في الماضي ؛ ذلك أنهم قد أسقطوا من حساباتهم فريضة الجهاد .

فالفلسفات الحديثة والمعاصرة – من جدلية ، و مادية ، و برجماتية ، ووضعية ووجودية – كلها دعوات صريحة للإلحاد .

وحول المنهج العلمي تنسج أيضًا أوهام من الإلحاد باسم إنكار كل ما لا يخضع للتجربة، وعدم قبول المادة للفناء .

وفي الجانب الاجتماعي سحابات من الإلحاد ، وتقوم بعض الدعاوى في هذا الميدان على إنكار الدين ، و إنكار دوره في عملية التنظيم الاجتماعي ، وقطع علاقته بالسياسة بدعوى فصل الدين عن السياسة، وفصل الدين عن الأخلاق بدعوى أن العلم كاف في توجيه سلوك الأفراد والجماعات .

وفي قضايا الأسرة نجد الإلحاد يطل برأسه في هذا الميدان حيث يهاجم الدين في كثير من تشريعاته ويتهم بأنه مصدر التخلف ، وعلة التراجع الحضاري .

كما نجد الإلحاد يدخل نطاق تدوين التاريخ – فيزيف الحقائق ، و يخترع الأباطيل ، ويسوق الرويات الكاذبة ، ويعمل على تشويه صورته فيقدمه على أنه نتيجة لصراع الطبقات ومظهر من مظاهر التطور الاقتصادي ، و يعرض لشخص الرسول ﷺ بصورة تنقص من قدره ، وتقلل من مقامه ، فيرسم له صورة ضيقة ، فهو رسول لقيمة من قيم التطور الاجتماعي كالحرية ، كما تقدم الأديان بصفة عامة على أنها السبب الأصيل فيما حدث من حروب على مر التاريخ .

والأدهى من ذلك أن في بعض البحوث التي توصف بالعلمية دعوات صريحة إلى الإلحاد ، فتهاجم القرآن الكريم ، وتطعن في السنة ، وتعتدي على الحضارة الإسلامية ، وتتجاهل دورها في قيادة مسيرة الفكر الإنساني ، و تظلم الشريعة الإسلامية فتعرض لها على خلاف ما هي عليه ، وتوصفها بما ليس فيها ، فنراها تتهم بالجمود و التخلف ، و النظرة الغير مستقيمة للآخر إلى غير ذلك من اتهامات يكذبها الواقع و يشهد على بطلانها التاريخ ، ويؤكد على زيفها نصوص تلك الشريعة الغراء .

ومما لا شك فيه أنه تقف وراء تيارات الإلحاد هذه منظمات ومؤسسات وقوى تتسم بالضراوة والحنكة والتنظيم الدقيق والكراهية العميقة للإسلام – بخاصة – والأديان – بعامة – ، و هنا نجد شبهًا قويًا بين تيارات الإلحاد العصرية هذه والتيارات

الإلحادية التي واجهها المسلمون في عصر نشأة علم العقيدة أكما أن الأفكار الوافدة من الغرب في أيامنا تشبه الأفكار الواردة في ثوبها الفلسفي من الفكر اليوناني وقت دخوله للبيئة الإسلامية .

فعلى علماء المسلمين أن يقوموا بمهمة الدفاع عن العقيدة الإسلامية على الوجه الذي قام به علم العقيدة في عصر النشأة مع استخدام ما تيسر من تقنيات حديثة ووسائل متطورة .

إن علماء المسلمين يواجهون فكراً مادياً يتسم بالعداوة الشديدة للأديان بصورة عامة ، وللإسلام على وجه الخصوص ذلك أن الأديان قائمة على أساس الإيمان بأمور غيبية خارج نطاق الحواس والأمور الغيبية كلها بما فى ذلك الله -جل جلاله- وسائر السمعيات الأخرى فى نظر الفكر المادى ضرب من ضروب الخيال لا وجود له.

ولإثبات هذه الدعوى الواهية يقومون بتغليفها تغليفاً علمياً يتناسب مع طبيعة هذا العصر ، لهذا كان لزاماً على علماء العقيدة أن يعيدوا النظر فى مناهجه وموضوعاته وطرائق طرحها وأساليب عرضها.

أسباب اختيار الموضوع:

1 - تلبية الحاجة الملحة والرغبة الشديدة فى نفسى بضرورة تطوير ودراسة علم الكلام ليلائم الإنتاج الفكرى الحديث والمعاصر؛ لا سيما وأن المتخصصين فى مجال العقيدة الإسلامية يواجهون مسئولية كبرى وهى مواكبة المشكلات العقدية التى طرأت على الساحة الإسلامية، والتى تختلف فى شكلها ومضمونها عن المشكلات التى واجهها القدامى من علماء المسلمين والذين أدوا دورهم بأمانة ونجحوا فى ذلك.

2 - قلة الدراسات العلمية التي خصصت لهذا الموضوع ، فعلى الرغم من وجود عدد من الباحثين تحدثوا فيه إلا أنها كانت أشبه بالإشارة التي فتحت الباب ولفتت النظر إلى أهمية هذا الموضوع إلا أن الأمر توقف عند هذا الحد.

3- ضرورة تخصيص دراسات مستقلة لهذا الموضوع ودراسة دراسة مستفيضة من كل الجوانب بغية عرض حقائق هذه العقيدة بما يتناسب ولغة العصر ومعطياته ومن ثم رأيت ضرورة دراسته دراسة مستقلة على هذا النحو للحاجة إليه.

4- التأكيد على استمرارية العطاء المستمر لعلماء الإسلام وقدرتهم على مواجهة التحديات التى يتعرض لها الإسلام ، والرد عليها ردوداً علمية على ضوء المنهج العلمى.

مشكلة البحث :

تتبلور مشكلة البحث في الدور الذي يمكن أن يؤديه علم العقيدة في هذا العصر ، فبينما يتمسك فريق من العلماء بضرورة المحافظة على هذا العلم بصورته الموجود عليها نجد فريقا آخر يرفض هذا و يرى أن هذا العلم بصورته الموجود عليها لم يعد مجديا في كشف الحقائق و إثبات العقائد .

و من ثم ينطلق عنوان هذا البحث من فرضية– لدى الباحث على الأقل – تقرر تلاشي أو ضعف الدور المنتظر من علم العقيدة القديم في تحقيق ما رسم له من أهداف، وحدد له من غايات في حياة المسلم المعاصرة، وبالتالي وجهت لهذا العلم انتقادات حادة ، و تعددت الدعوات بضرورة تجديده بما يتناسب ولغة العصر و معطياته .

فعلم العقيدة بين الواقع والمأمول بحث حاولت من خلاله أن أشير إلى ضرورة النظر مرة أخرى في علم الكلام الموجود ، و العمل على تجديده خصوصا و أن المشكلات التى يواجهها الإسلام فى هذا العصر كثيرة ومتنوعة ، منها ما هو علمى ، يوجه إليه بلغة العلم و مصطلحاته ؛ لذا لزم أن تكون الإجابة عنها بنفس المصطلحات العقلية والعلمية لتكون أقوى فى الرد وأوضح فى الكشف عن تهافتهم ، حيث إن الردود القديمة على الملحدين قد لا تفيد فى المحدثين الذين يدعون العلمية اعتماداً على منهج الحس التجريبى بزعم أن العالم الغيبى لا وجود له ، حيث إنهم لا يسلمون إلا بما يقع فى دائرة الحس والتجربة ؛ غير أن هذا لا يفهم منه إهمال كتب التراث القديمة

حيث إنها لا تزال تؤدى دورها ، وإنما المقصود هو إعادة النظر فيها بما يتواكب مع معطيات العصر الحديث.

إن المتخصصين فى مجال العقيدة الإسلامية يواجهون الآن مسئولية كبرى ألا وهى مواكبة المشكلات العقدية التى طرأت على الساحة الإسلامية ، والتى تختلف فى شكلها ومضمونها عما واجهه القدماء من علماء العقيدة الذين ارتكزت جهودهم حول مناقشات الجواهر والأعراض وقدمها ، والواجب والممكن وغير ذلك من هذه الموضوعات فى الرد على المعاندين والمخالفين من الملحدين.

لكن الإلحاد المعاصر اتخذ نمطاً آخر وطريقاً مغايراً ، من خلال الإيمان بالمحسوس فقط فليس ثمة معرفة تأتى عن طريق آخر خلاف الحس والتجربة ، فهو إلحاد مغلف بالعلمية وهو أبعد ما يكون عنها ، بخلاف الإلحاد قديماً فقد اكتفى بمجرد الحجج والجدل العقلى هذا من ناحية.

بالإضافة إلى أن هذا فإن علماء الإسلام يواجهون فئة من أبناء دينهم لا يعرفون من الدين إلا اسمه ومن الإسلام سوى رسمه هم بمثابة السوس الذى ينخر فى العظام للفصل بين الجانب النظرى والعملى فى الإسلام.

إن مثل هذه المشكلات توجب على المتخصصين إعادة النظر فى مناهج علم العقيدة والعمل على تطويره ليلائم الإنتاج الفكرى الحديث والمعاصر ؛ لا سيما وأن مهمة علم العقيدة بصفة أساسية هى الدفاع عن العقائد ضد المبتدعة و الملاحدة ويكون هذا من خلال الأدلة المناسبة التى يؤمن بها هؤلاء الملاحدة لتكون حجة عليهم.

وإنني لا أعرف غير الجامعات الدينية خصوصا جامعة الأزهر الشريف – في هذا الوقت تحديداً – جديرًا بالقيام بهذه المهمة خاصة وأن هذه الجامعات تعد المعقل الحصين للعلوم الإسلامية في القرآن والسنة والأدلة العقلية المستوحاة منهما ما يعين مفكري الإسلام على مهمتهم بشرط أن يتبع في علم العقيدة المنهج السليم الذي يقوم على احترام النص القرآني والحديث الصحيح ، وجعل هذه النصوص هي الأرضية

والأساس مع إعمال العقل في فهم النصوص وإدراك وجه الدلالة فيها والاعتقاد الجازم بأن صحيح المنقول لا يتعارض مع صريح المعقول .

كل هذه الخطوات ستؤدي إلى تحصيل العقائد الإيمانية الصحيحة مما قد يكون سببًا في إرشاد الغير وإقناعه بإيضاح الدليل وإلزام المعاند وإفحامه بإقامة الحجة عليه ، و معنى ذلك أن لهذا العلم مكانته و أهميته في هذا العصر .

فهذا العلم له أهمية كبرى في تقرير العقيدة من جانب والدفاع عنها من جانب آخر ثم إلزام المعاندين ومجادلين من جانب ثالث .

أسئلة البحث :

علم العقيدة بين الواقع والمأمول حاولت من خلاله أن أجيب عن هذه التساؤلات : هل نحن بحاجة إلى علم الكلام ؟ و إذا كان وجوده ضروريا للمسلم المعاصر فعلى أي نحو يكون ؟ هل يبقى بمناهجه وموضوعاته وقضاياه ومسائله القديمه ؟

أم أنه في حاجة إلى تنقية موضوعاته وتطوير مناهجة والتجديد في عرض موضوعاته ؟

وإذا كان التجديد لعلم الكلام مطلبا حتميا فما مبرراته ؟ و ما أهداف هذا التجديد ؟ وما أسسه ومحاوره وملامحه ؟

ولما كانت الحاجة ماسة إلى ضرورة تطوير علم الكلام والنظر فى عرض مناهجه للوصول به إلى علم كلام معاصر استخرت الله تعالى فى دراسة هذا الموضوع الموسوم بالتجديد في العلوم الإسلامية (علم الكلام بين الواقع والمأمول) .

أهداف البحث :

من خلال الفكرة الأساسية للبحث يمكن تحديد الأهداف المتعلقة بالبحث وهى على النحو التالي :

1- بيان المراد من التجديد في علم العقيدة؟ وما الذي يتعلق به التجديد ؟ .

2- محاولة تفادي السلبيات التى وقع فيها علم العقيدة القديم ، وتجاوز الانتقادات والملاحظات الموجهة إليه .

3- التركيز على إيجابيات علم العقيدة التقليدي التى تمثل مواطن التقاء بينه وبين علم العقيدة الجديد ، ويمثل هذا المحور المرحلة الأولى من مراحل البناء والتشييد للفكر العقدي المعاصر .

4- مواكبة القضايا العقدية التي طرأت على الساحة الإسلامية ، والتي تختلف بطبيعة الحل عن المشكلات والقضايا التي واجهت علماء العقيدة قديما سواء من حيث الشكل أو المضمون.

5- -صياغة المنظومة العقائدية الإسلامية .

6- شرح المفاهيم الإيمانية.

7- إثبات العقائد الدينية والبرهنة عليها.

8- نصرة التعاليم الدينية والدفاع عن القضايا العقدية .

9- بيان حقيقية "شخصية الرسول صلي الله عليه وسلم" ، من خلال عقيدته التى دعا إليها ليكون في ذلك رد على المنتقصين من قدره والطاعنين عليه .

خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في تمهيد ، وثلاثة فصول تسبقها مقدمة ، وتعقبها خاتمة ، ثم الفهارس الفنية للبحث

أما المقدمة : فقد بينت فيها أهمية الموضوع ، أسباب اختياره ، ومنهج البحث وصعوباته ، وخطة السير فيه .

أما التمهيد : فيتضمن أهميته ومنزلته من الدين .

الفصل الأول : علم العقيدة ومنزلته في الفكر الإسلامي ، وجاء في أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف علم العقيدة .

المبحث الثاني : أشهر أسمائه .

المبحث الثالث : موضوع علم العقيدة .

المبحث الرابع : فوائده وأهدافه .

الفصل الثاني :علم العقيدة بين المؤيدين والمعارضين ، وجاء في مبحثين :

المبحث الأول : موقف المؤيدين .

المبحث الثاني : موقف المعارضين .

الفصل الثالث : الحاجة إلى التجديد في علم العقيدة ، وجاء في أربعة مباحث :

المبحث الأول : ضرورة التجديد في علم العقيدة .

المبحث الثاني : تعريف التجديد ، وبيان المراد بالتجديد العقدي .

المبحث الثالث : مبررات التجديد في علم العقيدة

المبحث الرابع : أسس التجديد (محاور التجديد لعلم العقيدة المعاصر)

1- محور الهدم .

2- الاستفادة من الإيجابيات .

3- محور البناء .

ثم أردفت ذلك بخاتمة اشتملت علي أهم النتائج التي توصل البحث إليها

ثم أخيرا الفهارس وفيها : -

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات .

التمهيد

في بيان أهمية علم العقيدة وبيان منزلته من الدين .

مما لا خلاف فيه أن علم العقيدة أهم العلوم الإسلامية و أعلاها قدرا ، بالنسبة للفرد المسلم في العصر الحاضر ؛ لأنه علم العقائد الإسلامية .

والعقائد في الإسلام هي الأصول التي تبنى عليها فروعه , والأسس التي يقوم عليها بنايته والركائز التي بها قوامه وكيانه , ومن ثم كان لابد من حمايتها و الذب عنها مما يوجه إليها من شبهات ، وما يساق لها من اتهامات ، حتى تبقي هذه العقائد غضة طرية ، بعيدة عن الانحراف و اتباع الهوى ، و في ذات الوقت تبقي راسخة الجذور ، عميقة التأثير ، متينة القواعد في مواجهة حملات المضللين وهجمات المشككين التي يشنها أصحاب الفكر المادي على الأديان عامة وعلى الإسلام بخاصة .

و إذا كان العالم – في العصر الراهن – قد بعد أكثره عن الله تعالى ، وعن منهجه في الحياة وأخذت تضرب في التيه على غير هدى وتخبط في الظلام بلا دليل بين عبادة آلهة عدة ، ومعبودات متنوعة فإن هذا يحتم على المتخصصين في مجال الدراسات العقدية إعادة النظر في طريقة عرضهم لعقائدهم ، وطريقة تناولها ، وكيفية الاستدلال عليها ، و التركيز على آثارها في السلوك العملي و الواقع للفعلي للأفراد و الجماعات .

إن البشرية كلها في حاجة إلينا : في حاجة إلى عقيدتنا وفي حاجة إلى مبادئنا وفي حاجة إلى شريعتنا وفي حاجة إلى نظامنا الاجتماعي الذي يكفل الكفاية لكل فرد ويكفل الكرامة لكل إنسان ويكفل سلام الضمير وسلام البيت وسلام المجتمع كما يكفل السلام الدولي العام ، ومن هذه الحاجة الإنسانية – بعد عقيدتنا في الله – نحن نستمد قوتنا و ثباتنا على الدعوة إلى عقيدة الإسلام و شريعته ونظامه الاجتماعي الخاص[1] .

---

(1) نحو مجتمع إسلامي سيد قطب ، ص 12 , 13 ط دار الشروق ط10 – 1993 م .

إن العالم بأسرة بحاجة إلى الإسلام – عقيدة و شريعة و أخلاقا – و مهمة علماء المسلمين عامة و المتخصصين في مجال الدراسات العقدية بصفة خاصة هو العمل على الأخذ بأيده ، ورده إلى الحق و إرشاده للصواب ، ويكون ذلك من خلال حسن العرض للإسلام ، و دحض الشبهات ، وتفنيد المفتريات .

و بالجملة فهذا العلم له مهمة جليلة ، ووظيفة سامية ، ويكفي في ذلك أن نقول : إنه يحمل الشعلة للتائهين في شعاب الأرض وفي متاهات الصحراء وأنه ينقذ البشرية من الحمأة الآسنة التي تتمرغ فيها اليوم ويكشفوا للضالين والجاهلين والمخدوعين عن جوهر الإسلام الحنيف وسلامة منهجه وصحة عقائده وصدق رسالته ومحاسن شريعته حتى تفيء البشرية الضالة إلى رحاب هذا الدين الخالد فتجد فيه الأمن والسلام والخلاص[1] .

هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فإن أهمية هذا العلم تتضح من خلال بيان موقعه بالنسبة للأحكام الشرعية .

فإذا كانت جميع الأعمال الصالحة التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى يتوقف قبولها عند الله تعالى على صحة العقيدة التي يتكلم عنها هذا العلم ؛ لأن الانحراف عن العقيدة انحراف عن الإيمان والانحراف عن الإيمان هو الكفر والعياذ بالله والله تعالى لا يقبل من كافر عملاً كما قال سبحانه :

﴿ ... وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[2] .

(1) المصدر نفسه .

(2) سورة البقرة الآية 217 .

ويكفي لإدراك الأهمية الكبرى لهذا العلم، ومعرفة المكانة العليا التي يحتلها بين سائر العلوم الدينية، أن قضاياه كلها هي القضايا الفاصلة في الحكم على الإنسان بالإيمان أو الفكر، وبالنجاة أو الهلاك، وبالسعادة أو الشقاء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَّ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[1].

و قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَّ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾[2].

و قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُّ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[3].

ولذا قال بعض علماء الإسلام: إن تعلم هذا العلم هو مفروض، بمعنى أنه يجب تعلمه على كل مكلف رجلاً كان أو امرأة، وأقل ما يتحقق به هذا الواجب هو معرفة العقائد بالأدلة الإجمالية، أما المعرفة بالأدلة التفصيلية فوجوبها كفائي.

فالواجب على كل مسئول من والد ووالدة، ومعلم ووصي ومرب وأمثالهم، أن يهتموا بتنشئة الأطفال على فهم مبادئ هذا العلم، على أن يعطي كل حسب قدرته العقلية والنفسية، ويندرج معهم في تعليمه كما يتدرج معهم في تعليم أي علم ذي أهمية وشأن[4].

---

(1) سورة النساء الآية 48.

(2) سورة النساء الآية 116.

(3) سورة البينة الآيات 6، 7، 8.

(4) ينظر: تبسيط العقائد الإسلامية حسن أيوب ص 20 – 22 ط دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان ط 3 – 1983 م.